تقديم

«إن من البيان لسحراً» لقد صدقت هذه المقولة : لأن للكلمة أثرا أقوى من الطعن بالسنان ، وقد قال الشاعر :

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

فالكلمة ترفع صاحبها إلى أعلى عليين ، وتخفضه إلى أسفل السافلين ، وقد صدق المثل الشعبى الذى يقول : «لسانك حصانك ، إن صنته صانك وإن هنته هانك» .

ومن هذا المنطلق أردنا أن نضع كتابا فى التعبير الإنشائى سعيًا لتحقيق مبدأ ثقافة الإبداع وثقافة الذاكرة ، ليكون كحديقة مزهرة تأتى بأطيب الثمرات ، وتكون نموذجا يحتذيه أبناؤنا عندما يطلعون عليه ، كما يكون عونا للمعلمين لأخذ موضوعات التعبير منه لطرحها على التلاميذ لمناقشتها والإفادة منها . وتعويدهم الكتابة الصحيحة بمحاكاة النماذج الجميلة .

وبذلك نحقق هدفا تربويا طالما سعينا إلى تحقيقه ، ووضعنا حلا لقضية أثير حولها النقاش وإجابة لسؤال كثيرا ما سألناه وهو : كيف نعلم أبناءنا كتابة موضوعات التعبير ؟ ، وكانت الإجابة دائما : دعهم يقرءون ، فالقراءة هى مصدر مهم لتوسيع مداركهم ، وفتح الآفاق الواسعة أمامهم ليستطيعوا الكتابة ؛ لأنها تعودهم تذوق الأساليب العربية الفصيحة ، وتطلعهم على ثقافة العصر وتزيد من محصولهم اللغوى ، وتجعلهم يتعودون على التراكيب العربية السليمة ، والأساليب السلسة ، والدقة فى ترتيب أفكارهم ، ليرتفع مستواهم للموازنة بين الأساليب المختلفة ، والحكم عليها ، وتمكنهم من قراءة ما بين السطور ، وما هو خلف السطور ، ويلمحوا المعانى البعيدة والمغازى العميقة .

ولكن إيقاع العصر السريع قد يكون عائقا لهم عن التبحر فى القراءة لشتى الموضوعات ، ومختلف الكتب ؛ ولهذا آثرنا أن نجمع لهم خلاصة قراءات متعددة فى مناح مختلفة ، ونقطف لهم من هذه الحدائق أحلى الثمرات ، ونقدمها لهم عسلا مصفى ، وكلمات منتقاة كالدرر اللامعة والنجوم الساطعة .

وهذه الموضوعات التى نقدمها لهم اليوم هى خلاصة قراءات كثيرة على مدى عشرات السنين فهى حصاد استوى على عوده ، وبلغ نضجه ، ونتاج خبرات طويلة فى مجال تعليم الفصحى لأبنائنا على مستوى مصر والعالم العربى .

وقد نظمنا الكتاب على هيئة وحدات ، فجمعنا الموضوعات المتشابهة فى وحدة تجمع شتاتها ، وتضم متفرقها .

ولما كان أبناؤنا فى أمس الحاجة إلى غرس القيم الدينية الصحيحة فى وجدانهم وعقولهم ، فقد جعلنا الوحدة الأولى مشتقة من الدين خصوصا ونحن فى عصر اختلطت فيه الأفكار الدينية ببعض أفكار دخيلة يستغل فيها البعض الشعارات الدينية لارتكاب جرائم تقشعر لها الأبدان وتمزق أوصال الأمم والشعوب .

ولم نغفل فنون النثر المختلفة ، فاتخذنا من المقال قالبا لكثير من الموضوعات ، ثم الرسائل بأنواعها ، وربطنا بين التراث ، وذلك بعرض الرسائل التراثية ، والرسائل الحديثة .

وعرضنا لفن الخطابة واخترنا بعض الخطب التى تجمع جوامع الكلمة والتى وجهت الإنسانية إلى الخير والحق .

وأبرزنا فن المناظرة ، والذى تهتم به الأنشطة المدرسية فى عصرنا الحاضر لما له من مردود تربوى قوى ، لأنه يعلم الرأى والرأى الآخر ، ويعود الطلاب حل مشاكلهم عن طريق الحوار الحر والنقاش الواعى ، واخترنا بعض المناظرات ذات اتجاهات مختلفة .

ومن الموضوعات المعاصرة التى تشغل أذهان الجميع : البيئة وكيفية الحفاظ عليها من التلوث ، واخترنا أنواعا من التلوث المعنوى مثل التلوث الفكرى .

وتحدثنا عن الإعلام ، وما له من أثر فى توجيه الرأى العام من إذاعة مسموعة وإذاعة مرئية ، ومن صحافة ، لأن هذه الوسائل توجه الرأى العام، وتكون ثقافة الأمة لمختلف الأعمار .

ثم ضمنا الكتاب بموضوعات عامة ، هى مجال للاحتكاك بين الطالب ومجتمعه ، وفى هذه الموضوعات يجد كل قارئ بغيته ، فهى تعالج الأحداث الجارية ، والتى لها صفة الدوام والإيجابية والبناء ، والتى تبرز جهود الأمة فى سبيل التقدم والرقى لتحتل مصر مكانها فى مجال العولمة والكوكبية .

وقد ذيلنا الكتاب بوحدة تحت عنوان «قل ولا تقل» لتوجه أبناءنا الدارسين إلى بعض الأساليب الخطأ ، والتى يقع فيها البعض وتؤخذ عليهم حينما يكتبون .

وإنا إذ نقدم هذه الباقة من الموضوعات لنرجو من الله العلى القدير أن يفيد منها الأبناء، وأن تحوز رضاهم ، وإن وجدوا بعض القصور فيها ، فليكتبوا إلينا ، وسوف نتدارك ما فاتنا ونقدم كل جديد لدينا فى الطبعات القادمة إن شاء الله تعالى .

والله ولى التوفيق

المؤلفان

الإنشاء

لمصطفى لطفى المنفلوطى (بتصرف)(*)

قال لى أحد الوزراء الأذكياء : « إني لتأتينى أحيانا رقاع[1] الاستعطاف فأكاد أهملها : لما تشتمل عليه من الأساليب المنفِّرة . لولا أن الله تعالى يلهمنى نيات كاتبيها وأين يذهبون ، ولولا ذلك لكنت من الظالمين » .

ذلك ما يراه القارئ في أكثر المخطوطات[2] التي يخطها كاتبوها في رسائل الصحف ، ورقاع الشكوى ، والكتب الخاصة ، والمؤلفات العامّة .

هَزْل فى موضع الجِدّ . وجِدّ فى موضع الهزل . وإسهاب[3] فى مكان الإيجاز وإيجاز في مكان الإسهاب ، وجهل بالفرق بين العتاب والتأنيب[4] والانتقام والتأديب. وإن الكاتب ليكتب فى الحوادث الصغار ، أكثر مما يكتب فى الحوادث الكبار ، ويخاطب صديقه بما يخاطب به عدوه .

وليس البيان[5] إلا الإبانة عن المعنى القائم فى النفس ، وتصويره فى نظر القارئ أو مسمع السامع تصويرا صحيحا ، لا يتجاوزه ، ولا يقصّر عنه[6] (فإن لم يفعل)[7] فهو العِيُّ والحَصرُ[8] .

وقد جَهِلَ حقيقة البيان من ظنوا أنه الاستكثار من غريب اللغة[9] ونادر الأساليب

(*) (بتصرف) : أى أن الموضوع لم ينقل بكل ما ذكره الكاتب ، بل حدث به هنا بعض التغيير : لكى يكون مناسبا للقارئ ، دون أن يؤثر هذا التغيير فى المعنى الذى أراده الكاتب .

(١) الرقاع : جمع (رُقعة) والمقصود بها (الورقة) .

(٢) المخطوطات : جمع (مخطوطة) وهي كل ورقة كتب عليها بخط اليد . وكلمة (المخطوطة) تطلق أيضا على الكتب - القديمة والحديثة - التى مازالت بخط اليد من قبل طباعتها .

(٣) الإسهاب : الإطالة .

(٤) العتاب : هو اللوم الهين ، ويجرى بين ذوي المودة . أما التأنيب فهو : التوبيخ على أمر لم يكن حَسَنًا .

(٥) البيان : التعبير قولا أو كتابة .

(٦) يتجاوزه : يتعداه ، و (يقصر عنه) : يجعله فى غير كمال وتمام .

(٧) ما بين القوسين المعقوفين ليس من كلام الكاتب . بل هو زيادة . وكل زيادة عن الكلام المنقول يجب أن توضع بين هذين القوسين المعقوفين .

(٨) العِيُّ : العجز عن التعبير . والحَصر : العجز عن النطق الفصيح .

(٩) غريب اللغة : ألفاظها غير المستعملة .

فأغصُّوا[1] بها صدور كتاباتهم ، وحشوها فيها حشوا يقبضُ أوداجها[2] ... فإذا قُدِّر لك أن تقرأها ... قرأت مَتْنًا[3] مُشَوَّشًا من مُتون اللغة ، أو كتابا مضطربا من المترادفات .

وهناك من ظن أن البيان هو الهذر في القول والتبسط في الحديث .. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

البيان صلة بين متكلم يُفْهِمُ وسامع يَفْهَمُ ، فإذا أردت أن تكون كاتبا ، فاجعل هذه القاعدة (نصب عينيك) واحرص كل الحرص على ألاّ يخدعَنَّك عنها خادع فتسقط مع الساقطين .

ولا أدري كيف يستطيع الكاتب أن يكون كاتبا عربيا قبل أن يطَّلع على أساليب العرب فى أوصافهم ومدحهم وهجوهم ، ومحاوراتهم ومساجلاتهم[4] ؟ وقبل أن يعرف كيف كانوا يعاتبون ويؤنبون ، ويعظون وينصحون ، ويستعطفون ويسترحمون؟

وبعد : فإنى لا أرى لك ياطالب البيان[5] العربى سبيلا إليه إلا بمزاولة الإبداعات العربية منثورها ومنظومها ، والوقوف بها وقوف المتثبت المتفهم ، لا وقوف المتنزه المتفرج . فإذا رأيت أنك قد شُغِفْتَ بها . وكَلِفْتَ[6] بالاختلاف إليها[7] فاعلم أنك قد أخذت من البيان بنصيب .

ولا تحدثَنَّك نفسك أنى أحْمِلُكَ[8] على مطالعة المنشآت[9] العربية لأسلوب تسترقه ، أو تركيب تختلسه ، فإنى لا أحب أن تكون سارقا أو مختلسا ، وإنما أريد أن تحصِّل لنفسك ملكة فى البيان راسخة ، حتى لا يكون شأنك شأن الذين علقت بذاكرتهم طائفة من منثور العرب ومنظومهم . فقنعوا بها وظنوا أنهم بلغوا من اللغة ما أرادوا . فإذا أرادوا التعبير عن شئ رجعوا إلى تلك المحفوظات فانتزعوا منها ما

---

(١) أغصُّوا : ملأوا .
(٢) أوداجها : (جمع ودج : وهو عرق فى العنق) وهو الذى يقطعه الذابح .
(٣) المتن : الأصل الذى يحتاج إلى شرح .
(٤) المساجلات : المفاخرات .
(٥) ياطالب البيان : يا من ترغب فى أن يكون كلامك واضحا فصيحا .
(٦) كَلِفْتَ : اعتنيت .
(٧) الاختلاف إليها : الرجوع إليها مرة بعد مرة .
(٨) أحملك : أدفعك .
(٩) المنشآت : الكتابات .

يحشرونه فى كتاباتهم حشرا ، فإن لم يجدوا ، تبذّلوا باستعمال التراكيب الساقطة، أو يهجروا تلك المعانى إلى أخرى لا علاقة بينها وبين سابقاتها ولاحقاتها .

واعلم أنه لابُدّ لك من حسن الاختيار فيما تريد أن تكتبه من المنشآت العربية . فليس كل ما تقدم[1] ينفعك . ولا كل متأخر[2] يضرك : لأن حسن الاختيار طِلْبَةٌ[3] تتعثر بين يديها الآمال ، فالجأ فى ذلك إلى فطاحل[4] الأدباء الذين يعرف الناس لهم ذوقا سليما ، ومَلكةً فى الأدب ، فإن فعلت وكنت مِمّن وهب الله لهم ذكاء وفطنةً .. عُدْتَ وبين جنبيك ملكة فى البيان يتناثر منها منثور الأدب ومنظومه تناثر الورود من حديقة الأزهار .

(١) يقصد الكاتب ، الكتابات السابقة .
(٢) الكتب القريبة فى الأدب وغيره .
(٣) طِلْبة : مطلب .
(٤) فطاحل : (جمع فِطَحْل) والفِطحل هو العالم الكبير .